افكار الكبار وعقول الصغار

<"xml encoding="UTF-8?>

اشتهر طبيب الأطفال الأمريكي الدكتور بنجامين سبوك (1903 - 1998) بكتابه (العناية بالطفل)، وكتب أخرى عن التربية، حتى سماه الأمريكان بوالد أو مربي هذا الجيل.

لا شك أن كل جيل يحتاج لمربٍ يستفرغ جهده ويوظف طاقاته من أجل تربيته وتوجيهه وزرع أرضه ببذور تينع الخير والجمال إن أحسنت سقايتها ورعايتها، وقد كنت مسرورا بالجهد الذي يبذله أستاذ المرحلة الابتدائية، الذي أحب طلابه وعشق إزعاجهم، وتأمل فيهم الخير والصلاح، فهام يفكر فيهم ككنز لا يستثمر إذا تعامل معه المعلمون من خلال العمل والوظيفة فقط، بل من خلال الحب له والتعب عليه، والتفكير في أقصر وأسلك الطرق إلى قلبه.

مهدي صليل - مدرس المرحلة الابتدائية - من سكان مدينة سيهات بمحافظة القطيف، يعطي وظيفته حقها، ويعمل ضمن حدودها، لكنه حين يعود لمنزله يفكر مليا في صناعة جسر العبور المتين الذي يمكنه من تمرير الأفكار والأخلاق والتوجهات الحميدة التي يؤمن بها الكبار إلى أذهان الناشئة، وأحيانا يستوحي من الأحداث أفكارا يسعى لتأكيدها في نفوس الصغار.
(أحب وطني) هو عنوان كراسة مطبوعة كتبها وفاء لرجل الأعمال الحاج عبد الله المطرود، سطورها قليلة، والرسومات تغطي المساحة الكبرى منها، لكن أفكارها جديرة بالتمرير لصغارنا، فقد سطر فيها عن حب الخير وأجمل الحسنات، وكلنا نبني الوطن وبيوت الخير وملابس العيد، وكلها تضمنت مفاهيم أخلاقية ووطنية رائعة وراقية.
له كراس آخر للأطفال بعنوان (لا تحزن يا أبي)، يحمل في طياته قصة جميلة وتربوية هادفة لأحد الأيتام، وكيف أن الاهتمام به مكنه من تجاوز حالته النفسية.
وله آخر تحت عنوان (حكاية وفكرة) وهو عبارة عن عشر قصص تربوية للأطفال، ولا أريد الإطالة عليك أيها القارئ، فالمطبوع له عشرة انتاجات، وله تحت الطبع أربعة أخرى، وكلها في نفس التوجه ولأبناء المرحلة الابتدائية.
لست أنحو في مقالي منحى المدح والإطراء للشخص، وإن كان يستحق الشكر والتقدير على ما يبذل من جهد، لكن ما يهمني هو ضرورة العناية بهؤلاء الصغار، من خلال الفصل بين الصغر في السن ووجود أرضية تستقبل

القيم والأفكار الطيبة، والتوجهات الحسنة، كما تستقبل كل سيئ وكريه لأنها أرض خصبة تحتاج من يبادرها بالرعاية والاهتمام، ويسبقها بالخير قبل الشر.

مشكلة الكثير في تربيتهم لأولادهم أنهم يشفقون عليهم من التعليم والتوجيه باعتبارهم صغارا لم يحن الوقت لاستنبات الخير في عقولهم وقلوبهم، وبعد حين يصدمون بهم حين يبني الصغار قناعاتهم من طرق أخرى ليس آخرها الأنترنت ولا نهايتها الفضائيات.

حينها يبحث الآباء عن ناصح وموجه ومعين، وكيف يتأتى ذلك وقد أهملناهم وتركناهم، والشاعر يقول:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت	ولا يلين إذا قومته الخشب

الذين يلتفتون لهذه المراحل العمرية ويتعاملون معها بثقة وقناعة راسخة في أعماقهم أن مستقبلنا رهن بتربيتنا لصغارنا هم قلة، وهم لقلتهم للعدم أقرب، ولذلك يربي أولادنا غيرنا ويصبح مصيرنا هو الشكاية والتذمر منهم.

وإذا وجد هؤلاء القلة من الناس، وأنتجوا شيئا مفيدا لأولادنا فإن الخطوة الثانية في الطريق السليم هي في زيارتنا للمكتبات واستفادتنا من هذه الجهود المهمة، واعتبارنا لما نصرفه من أموالنا مكسبا لا يضاهيه مكسب1.

---

1. نقلا عن الموقع الرسمي لسماحة الشيخ حسن الصفار، والمقال منشور في صحيفة اليوم السبت 16 رجب 1432 - 18 يونيو (حزيران) 2011م - العدد: 13875.